تقرير

خليل حرب
khalilharb66@gmail.com

"مذكرة" فاستراحة فشتائم فحرب هدنة تتهاوى أم صلح يقترب؟

لم يمض شهر على توقيع "مذكرة التفاهم" الأميركية - الايرانية حتى كانت تتهاوى. بدا ان التفاهم كان مثابة هدنة مؤقتة، ارادها الاميركيون والايرانيون، كاستراحة، او ربما استعدادا لجولة جديدة من القتال نشبت فعلا. لكن الحرب الطويلة تبدو خيارا صعبا لكل من واشنطن وطهران، فهل من معجزة توقف الاشتعال الاقليمي؟

عندما قال نائب الرئيس الاميركي جي دي فانس في 30 حزيران الماضي، اي بعد اقل من اسبوعين على توقيع "مذكرة التفاهم" التي رعتها باكستان وقطر، ان الرئيس الاميركي دونالد ترامب "طلب منا استخدام مذكرة التفاهم لاعادة تزويد الاقتصاد العالمي النفط ثم نرى كيف ستتطور الامور" حيث انه "امامنا خياران، فاما السعي الى اتفاق طويل الامد مع ايران شرط تغيير سلوكها او تثبيت المكاسب التي حققناها"، كان ذلك اشارة واضحة ان التفاهم الأميركي - الايراني لا يقف على ارض صلبة ومرشح للانهيار.

تعكس هذه التصريحات جانبا من الرؤية الاميركية لطبيعة التفاهم مع الايرانيين. في المقابل، فان الرؤية الايرانية للتفاهم، قد يكون وزير الخارجية الايرانية عباس عراقجي عبر عنها في 19 تموز الماضي، عندما قال ان اجهزة الدولة كانت تتوقع اندلاع مواجهة عسكرية جديدة، لذلك وافقت على استئناف المفاوضات بهدف "اتمام الحجة" واثبات ان طهران لم ترفض المسار الديبلوماسي. وذهب عراقجي ابعد من ذلك بقوله ان قرار وقف حرب الـ 12 يوما (في العام 2025) كان قرارا صحيحا، لانه جهز الظروف لانتصار إيران في حرب الـ 40 يوما لاحقا، مضيفا ان بعض الآراء ترى ان استمرار القتال في الحرب الاولى كان سيمنع اندلاع الحرب الثانية، الا ان الطرف المقابل (اي الاميركي والاسرائيلي) كان يحمل التصور ذاته".

بهذا المعنى، فان "مذكرة 18 يونيو"، التي تنص على وقف القتال، ورفع الحصار البحري الاميركي، واعادة فتح مضيق هرمز، واطلاق مسار تفاوض لمدة 60 يوما، لابرام ما كان يؤمل

> **ترامب ومذكرة التفاهم: النفط؟**

في ان يكون اتفاقا نهائيا، اصطدمت فعليا بجدار القراءات المتباينة ما بين طهران وواشنطن، بل ايضا بقراءات متباينة داخل اروقة السلطة نفسها في كل من العاصمتين، ما بين مؤيدين لانهاء القتال وتغليب الخيار الديبلوماسي، وبين مؤيدين لخيار الضغط العسكري الاقصى، او الذهاب للمواجهة الكبرى.

ليس سرا ان تيارا يمثله وزير الحرب الاميركي بيت هيغسيث ووزير الخارجية ماركو روبيو، قاد حملة لتعزيز الضغط على ايران حتى رغم قيادة دي فانس مسار المفاوضات التي افضت الى توقيع ترامب على المذكرة. هذا التناقض الظاهر، كما يقول محللون، ربما يعكس صراع اجنحة داخل الادارة الاميركية، خصوصا في ظل ما يتردد حول احتمال خوض دي فانس وروبيو الصراع من اجل الترشح في الانتخابات الرئاسية المقبلة، في حين ان هناك من يقول ايضا ان هذا التناقض يشير الى تبادل ادوار بين المسؤولين الاميركيين، لدفع الايرانيين الى التنازل.

لكن من الواضح ان التباين شديد الوضوح في قراءة كل من طهران وواشنطن لمفاعيل

مذكرة التفاهم، وبنودها، وكيفية تطبيقها، لدرجة ان الطرفين جاهرا بالخروج منها، ترامب اولا، ثم طهران ثانية.

ففي 8 تموز الفائت خلال قمة الناتو الاخيرة، خرج ترامب فجأة بلهجة تصعيدية، بعدما شددت ايران اجراءاتها لمنع عبور هرمز، بدون موافقتها المسبقة. وقال ترامب في ان مذكرة التفاهم

> **ايران: "المذكرة" لاتمام الحجة**

"انتهت"، وانه لم يعد راغبا في التوصل الى اتفاق مع الايرانين لانه "اهدر الكثير من الوقت معهم، ويجب علينا القيام بعملنا". كان من الممكن ان تنتهي الامور هنا، لكن ترامب ذهب الى الاهانات الشخصية، حيث وصف الايرانيين بأنهم "مرضى وكاذبون وحثالة وأشرار عنيفون ولا اريد التعامل معهم، ولو كان لديهم سلاح نووي، لاستخدموه"، مبديا انزعاجه من ان اسمه موضوع عند الايرانيين على لوائح اغتيال ويريدون القضاء عليه.

وعاد ترامب ليقول في اليوم التالي ان وقف اطلاق النار لم يعد ساريا. وفي 13 تموز الماضي، قال ان مذكرة التفاهم كانت اختبارا ولم يلتزموا بها "وسنضربهم بقوة"، مشيرا الى ان العمليات العسكرية الجديدة ستستمر من 2 الى 3 اسابيع. ثم في 18 تموز، جدد القول انه ليس يعد مهتما بعدم رغبة ايران في الالتزام بمذكرة التفاهم.

وبينما اعلنت ايران اعادة اغلاق مضيق هرمز في 12 تموز، كرد على هذه المواقف، وتجدد الهجمات العسكرية الاميركية ضدها، قال المرشد الايراني السيد مجتبى خامنئي ان الانتهاكات المتكررة لمذكرة التفاهم الموقعة بين رئيسي ايران والولايات المتحدة، اظهرت مرة اخرى، للجميع مدى عدم قيمة توقيع الرئيس الاميركي وعدم موثوقيته، متهما اياها بالبلطجة والطموح للهيمنة والوحشية.

في الوقت نفسه، اعلنت طهران وقف التزامها بمذكرة التفاهم. وقال نائب وزير الخارجية غريب ابادي ان الولايات المتحدة انتهكت جميع التزاماتها في اطار مذكرة تفاهم اسلام اباد و"اوقفتها كلها. نحن ايضا اوقفنا التزاماتنا ولا نقوم بتنفيذها، ونحن منشغلون بالدفاع عن الوطن".

لكن هذا التدهور الذي توقعه كثيرون، يطرح تساؤلات عن مدى تأثير ذلك على المشهد السياسي الاميركي الداخلي، وتفاعلاته، حيث تحولت حرب ايران كأحد محاور التنافس والانقسام في الانتخابات النصفية للكونغرس المقررة في بداية تشرين الثاني المقبل، ولها تأثيراتها على التوجهات السياسية للناخبين والمرشحين.

صار من الواضح ان هناك انقسامات هائلة داخل صفوف كل من الحزبين الجمهوري والديموقراطي، مما يعقد قرارات الإدارة الاميركية. بشكل اكثر دقة، فان تبعات حرب ايران تجعل من مهمة ترامب والحزب الجمهوري اكثر صعوبة في الاحتفاظ بالغالبية في مجلسي الكونغرس، وسط مساع مستمرة لتعزيز الدعم له في ظل ارتفاع أسعار الطاقة التي مست الحياة اليومية للمواطنين الاميركيين بفعل ارتفاع اسعار البنزين، بما يؤثر على ميولهم الانتخابية.

ويعتبر العديد من المراقبين ان التحديات الاقتصادية والداخلية هي التي تتصدر اولويات الناخب الاميركي، بغض النظر عن مدى تراجع او اشتعال الحرب في الشرق الاوسط. مع ذلك، فان تأثير هذه الحرب على الاوضاع المعيشية للناخبين، تؤثر بالتاكيد على قراراتهم بتأييد ترامب او خصومه او مقاطعة المرشحين المؤيدين للحرب بشكل أو بآخر.

وتظهر ارقام استطلاعات الرأي هذه الفكرة، خصوصا انها تظهر في الوقت الحالي تراجع شعبية الحزب الجمهوري وادارة ترامب بسبب تداعيات الحرب. على سبيل المثال، يظهر استطلاع مجلة "الايكونوميست" ان مؤيدي قرار ترامب بمهاجمة ايران تراجع الى 30%، لتصبح هذه الحرب تاريخيا الحرب الأقل شعبية بين الاميركيين. اما "نيويورك تايمز" فتظهر ان معدل الرضا العام عن ◄

◄ ترامب تراجع الى 37%، وهو الأدنى له في ولايته الثانية، حيث رأى ثلثا الناخبين أن قرار الحرب كان خاطئا.

كما تتجه الامور نحو وضع اكثر خطورة، حيث كشف استطلاع لوكالة "اسوبيتدبرس" الامريكية ان 34% فقط من الاميركيين يوافقون على اسلوب ترامب في التعامل مع ايران، مع تأييد 71% من الجمهوريين مقابل 22% فقط من المستقلين و8% من الديموقراطيين.

يعني ذلك ان استطالة الحرب تقضم من شعبية ترامب، وهو ما اكده استطلاع لوكالة "رويترز" حيث ارتفعت نسبة الاميركيين الذين يتوقعون صراعا طويل الامد مع ايران الى 79%، بينما ايد 37% فقط الضربات العسكرية الاخيرة.

لكن البنزين ظل العامل الاكثر اشتعالا في مواقف الناخبين. فبحسب استطلاع "رويترز"، اكد 60% تخوفهم من تدهور

"صراع بين فانس وروبيو ووفاة غراهام تصدم ترامب"

اسعار البنزين والوقود خلال العام المقبل نتيجة الحصار البحري والتوترات المستمرة.

ويبدو من شبه المؤكد ان هذه التوجهات ستؤثر على طريقة التصويت في انتخابات تشرين الثاني وانقسامات الناخبين. وتظهر الاستطلاعات تقدم الحزب الديموقراطي بنسبة 48% مقابل 42% للحزب الجمهوري في التصويت العام للانتخابات النصفية لعام 2026، وهو يعني ان الجمهوريين امام خطر خسارة غالبيتهم بحسب تحذيرات لوبيات ضغط ومؤسسات موالية للحزب تعتبر ان الغالبية الجمهورية تواجه "خطرا حقيقيا" بفعل حالة عدم الرضا المتزايدة وتداعيات كلفة الحرب التضخمية.

كما يأتي الخطر من مصدر آخر: النساء. فهن يشكل فرصة حقيقية للقضاء على ترامب والجمهوريين، خصوصا الاستطلاعات تظهر وجود "فجوة جندرية هائلة"، حيث تبدي الناخبات استياء متزايدا من سياسات ترامب الاقتصادية والعسكرية.

تستخلص شبكة "سي ان ان" ان كل استطلاعات الرأي غير الحزبية للعام 2026 تظهر ان 60% على الاقل من النساء يرفضن اداء ترامب. اما "نيويورك تايمز" فتقول ان نسبة الرضا على ترامب بين النساء، وصلت الى 66%. اما بين الامهات الاميركيات، فقد سجلن تراجعا بنسة 25%، لتصل مواقفهن الى النسبة التالية: 37% تأييد في مقابل 62% معارضة. بالاجمال، يظهر استطلاع "جامعة

ايمرسون" تقدم الحزب الديموقراطي بين النساء بـ 21 نقطة كاملة مقارنة بالجمهوريين في الاقتراع النصفي. في مكان ما، يبدو ان ترامب اجرى حسابات عدة: كيفية استقبال الاميركيين عموما لمذكرة التفاهم؛ مواقف معارضيه وانصاره؛ مواقف اللوبيات المؤيدة لاسرائيل؛ مواقف اسرائيل نفسها؛ كيفية تعامل ايران مع المذكرة؛ تخفيف حدة ازمة الطاقة (مثلما الح دي فانس)؛ اعادة تذخير المواقع الاميركية وقطع البحرية الاميركية في المنطقة؛ اقتراب الانتخابات الاميركية التي ربما من المستحسن ان يحسم طبول الحرب قبل فتح صناديق الاقتراع فيها؛ وبناء على ذلك قرر ان خوض جولة قتالية جديدة، قد يكون لصالحه.

لكن المؤكد، ان ما ليس في صالحه الوفاة المفاجئة للسيناتور ليندسي غراهام، وهو ما يثير المزيد من توجس ترامب وقلقه. فوفاة هذا الرجل شكلت صدمة سياسية قوية للادارة، بالتزامن استمرار الحرب - او تجددها - والتحضير للانتخابات النصفية. فمن المعلوم ان غراهام يمثل احد اقوى حلفاء ترامب في مجلس الشيوخ، وكان يوصف بأنه "الهامس في اذن ترامب"، لقدرته الاستثنائية على اقناع اعضاء الكونغرس التقليديين بتبني سياسات ترامب.

وفاة غراهام أيضا، تفقد ترامب من يمكن وصفه بانه "عرّاب السياسة الخارجية" حيث انه يمثل الجسر الذي يربط بين جناح ترامب "اميركا اولا" والجناح الصقوري التقليدي للحزب الجمهوري، حيث كان من اشد الداعمين لتوجهات ترامب العسكرية وفرض العقوبات خصوصا في ملف الحرب ضد ايران ولبنان وغزة، والدعم المطلق لاسرائيل واوكرانيا.

اضافة الى ذلك، فان وفاة غراهام قلصت الغالبية الهشة للجمهوريين في مجلس الشيوخ (التي كانت بنسبة 53 الى 47). وربما يساهم غياب شخصية بوزن وثقل غراهام

"المذكرة" بين طهران وواشنطن، والحرب وخطرها على انتخابات اميركا

التشريعي في تعثر جهود ترامب لتمرير التشريعات الحساسة، خصوصا ما يتعلق بالنفقات العسكرية وملفات الميزانية. الى جانب ذلك، فان غياب غراهام، يفتح الباب امام صراع وتنافس اكبر داخل المعسكر الجمهوري حول السياسة الخارجية، حيث ان وفاته تعزز الصعود القوي للتيار "الانعزالي" الذي يقوده نائب الرئيس دي فانس، مقابل التيار "الدولي التدخلي" الذي يمثله الوزير روبيو وكان يدعمه غراهام بقوة. وبذلك، فان هذا الانقسام قد يضعف قدرة ترامب على الحفاظ على جبهة حزبية موحدة تجاه الصراعات الدولية الحالية.

هذا ليس مشهدا مطمئنا امام ترامب فيما يرى حربه مع بنيامين نتنياهو، ضد ايران، بلا مخارج بامكانه كانتصار حاسم، ليس فقط امام الناخبين الاميركيين، وانما ايضا بما يرضي غروره ونرجسيته. ويظهر تعامل الرئيس الاميركي مع مذكرة التفاهم، انه يريد ترجمتها كهزيمة مدوية للايرانيين، وتعبيرا عن خضوعهم الكامل لاراداته وبطشه العسكري، وهي تمنيات لم يجدها لا في تعابير المسؤولين الايرانيين، ولا في سلوكهم سواء في هرمز، او في تفسيرهم لبنود التفاهم التي منحتهم تأجيلا في البحث عن معالجة البرنامج النووي، وفي استبعاد اي نقاش حول قدراتهم الصاروخية، وقدمت لهم ايضا اعترافا بـ"ادارة" المضيق الخليجي، وهي كلها عناصر اتاحت للايرانيين ان يقدموا انفسهم كند قوي، تمكن من الصمود امام اعتى قوة عسكرية في العالم، متحالفة مع الكيان الاسرائيلي الذي يسعى الى التحول الى اكبر لاعب اقليمي.

الحرب، بناء على ذلك، لا تبدو في أفق نهاية. وهناك غياب واضح لاي جهة وساطة وازنة - باستثناء الباكستانيين والقطريين – في امكانها دفع ترامب نحو التسوية على قاعدة لا غالب ولا مغلوب، ولا اقتاع الايرانيين بتسليم مقدرات بلادهم ومصيرها ومضيقها الخليجي، للرجل البعيد الساكن في البيت الأبيض، وربما هذه هي المعضلة الاساسية.